لماذا يموت خميس أولا ؟

مجموعة علي زين العابدين الحسيني ، هي محاولة للاجابة على اسئلة الموت الفلسطيني ، من خلال اكتشاف العلاقة بين ظاهرتي الموت والاقدام عليه . فالموت ـ الظاهرة الطبيعية الاجتماعية ـ يتحول هنا الى مشروع للفعل التاريخي وقد اختلط بآلام فردية وجماعية . فالظاهرة ، لا ينظر اليها من خارجها حيث الايقاع السياسي الاجتماعي يحمل معاناته الخاصة فقط ، بل يجري وضعها ضمن سياق معاناة خاصة هي وعاء هذا الايقاع وحركته الداخلية . فتصبح علاقة الموت بالحياة علاقة جسد من الالم الفردي والجماعي ، تقدمه نماذج انسانية ، صنعتها المقاومة الجماهيرية في لحظات حركتها . هنا يأتي وعي المؤلف ، ليقوم بالتقاط ظاهرات الموت الفردي ويدمجها بنسيج قصصي يجمع البقائية الشعبية الى البناء الاسطوري ، في محاولة لتأليف عناصر الفعل الانساني داخل امتداده في الطبيعة . ان مشروعية الطموح الاسطوري في قصص هذه المجموعة تأتي استكمالا لامتداد فلسطين نحو عناصر الارض التي تشكل محور الصراع ، فيأتي الطموح الاسطوري ـ الفنائي ليعطي هذا الامتداد وقاءة الطبيعي ، ليحيله الى جزء من علاقة الانسان بالعناصر والشجر . هنا ، وانطلاقا من هذا الطموح يجب ان تجري مناقشة هذه المجموعة القصصية ، داخل الحركة القصصية الفلسطينية التي استطاعت ان تقدم عناصر اولية يمكن استكمالها داخل حقل التجربة الفنية .

الفنائية والامتداد الاسطوري :

تواجهنا القصة الاولى (نبي بلا احزان) ببراءة فردية تصل الى حد الانهيار الشامل . ففي علاقة رمزي ، المخمور ، الباحث عن شريفه في صورة زوجته التي احرقت نفسها بعد ان اغتصبها الاعداء ، بسوزي العاهرة ، البديل النقيض الذي لا يستطيع دخول احزان الرجل ، نكتشف المرارة وقد تحولت انهيارا كاملا ، يحطم ذاتية البطل ، الفرد والرمز معا . ويؤشر الى طريق اخرى لا بد من دخولها . هنا يصبح الحوار هو حركة القصة . كل شيء يجري في داخله ، وعندما يراد التأمل الذاتي يكتب المؤلف ، « قالت في نفسها ... » ويتابع . الحوار هو عنصر الحركة الاساسي ، في ثناياه نتعرف على احزان البطل وفشله وعلى استحالة حواره مع سوزي العاهرة. ومن خلال هذا الحوار المستحيل ، نتحسس الالم الذي لا ينفجر ، يبقى رومانسيا ومليئا بالدموع والبكاء . الدموع هي غطاء الحزن الذي يجمده في حالته الرومانسية ولا يطلقه الى الحقد المدمر الذي يصل الى الموت . هذه النزعة الرومانسية التي تطبع القصة سوف تسحب نفسها على بقية قصص المجموعة ، مبقية الامتداد الاسطوري داخل حوار لا ينتهي ، ومغلفة اياه بالدموع التي تعطل تحوله الى عناصر الطبيعة كجزء منها .

نخرج من كابوس الحريق الرومانسي هذا ، لنبدأ محاولة بلورة الصوت الفني مع قصة « هو » . هنا يصبح « هو » رمزا واسطورة في آن . انه الفلسطيني الذي لم يزل طفلا يكتشف ويكشف حول هذه الشخصية الرمزية ، ينسج الحسيني قصته فيبدأ بوصف الطفل ، البطل : « وله عينان حزينتان كحبتين من العنب الرمادي أو كغيمتين صغيرتين استقرتا للابد في سماء عينيه » . وتبدأ علاقة هو بالعناصر والناس ، انه جزء من الطبيعة ، آني ودائم ، موجود في جميع الامكنة ودائم الغياب ، يشم رائحة التراب والمطر ، ويخاطب الصغار ، يتداخل بالبرتقال ويخاف منه متى أينع . ينتهي وصف شبكة العلاقات التي يقيمها « هو » باستدارة تقطع النبض الاسطوري في القصة برمز « النمل الاصفر » الذي يجتاح المدينة . هنا يصبح للامتداد الاسطوري الفنائي مذاق مرارة القسر الواقعي الذي يأتي من خارجه

---

* علي زين العابدين الحسيني : **خميس يموت اولا** . منشورات وزارة الاعلام ، الجمهورية العراقية ـ ١٩٧٤ ـ من كتب اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين .